

خطبة الجمعة - الخطبة ٥٣٢ : التقرب إلى الله (٣ - ٦).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٤٠٧-١٩٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده ، ونستعين به ونسترشد به ، وننحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضل فلن تجد له وليناً مرشدًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أدنى بخبر ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، أنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الخوف من الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام ؛ الموضوع المتسلسل هو التقرب إلى الله ، ومن أولى وسائل التقرب إلى الله طاعته ، وطاعته ينبغي أن تكون على جناحي الخوف والرجاء ، وكان الموضوع في الخطبة السابقة عن الخوف من الله عز وجل ، ونحتاج إلى خطبة ثانية في الموضوع نفسه لنتقل إن شاء الله تعالى في خطبة قادمة عن آيات الرجاء في القرآن الكريم كي يتوازن الخوف والرجاء معاً.

أيها الأخوة الكرام ؛ في القرآن الكريم آيات فيها تخويف ، وتنذير ، وترهيب ، من أجل أن ينهض الإنسان إلى الجد والعمل ، وآيات التخويف غايتها حصول الخوف الحقيقي من خطر حقيقي ، وليس المقصود المعنى الدارج عند العامة وهو إحداث خوف من خطر موهوم ، أو غير حقيقي. التخويف في القرآن الكريم إحداث



خوف حقيقي من خطر حقيقي. أما في المعنى الدارج على السنة العامة فالخوف إحداث خوف من خطر مزعوم ، أو موهوم ، أو ليس حقيقياً.

قال تعالى :

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلْلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلْلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادُهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونَ﴾

[سورة الزمر: ١٥-١٦]

أي يا عبادي امتثلوا أمري ، واجتبوا ما نهيتكم عنه خوفاً من هذا اليوم العسير ، ومن هذا العذاب الشديد .

المقياس الدقيق في كشف حقيقة الإيمان :



الخوف من آيات التخويف مقياس دقيق للإيمان

[سورة الإسراء: ٦٠]

﴿وَتُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاً كَبِيرًا﴾

أريد أن أؤكد على هذه الحقيقة ، التخويف في القرآن الكريم تخويف حقيقي ، يجب أن يحدث خوفاً حقيقياً من خطر حقيقي. والله سبحانه وتعالى يقول :

وبي بين غير المؤمن ، المؤمن إذا خوفه الله يخاف ، بينما الكافر إذا خوفه الله سبحانه وتعالى فلا يخاف ، لذلك يمكن أن يكون هذا مقياساً دقيقاً ، إذا جاءت آيات التخويف هل يمتلك القلب خوفاً أم يمتلك القلب شروداً وانحرافاً ؟ الله سبحانه وتعالى وصف الكفار بأنه يخوفهم مما يزيدهم - أي هذا التخويف - إلا طغياناً كبيراً. لذلك أحد المقياسين الدقيقة الناجعة في كشف حقيقة الإيمان مقدار الخوف الذي يستقر في قلبك إذا قرأت آيات التخويف ، هذا مقياس مشعر ليس من شأن المؤمن إلا أن يخاف إذا خوفه الله تعالى ، ومن لا يخاف إذا خوفه الله تعالى فهو مع الطرف الآخر ، طرف الكافرين الذين لا يعبئون بأيات الله البينات.

محاسبة الإنسان يوم القيمة على كل كبيرة و صغيرة :

أيها الأخوة الكرام ؛ العلماء اختلفوا ولاسيما المفسرون : أي الآيات القرآنية أشدّ تخويفاً ؟ قال بعضهم :

﴿سَنَفِرُّغُ لَكُمْ أَيَّهَا النَّقَانِ﴾

[سورة الرحمن: ٣١]

وَالثَّقَانُ هُمَا الْأَنْسُ وَالْجَنُ ، سَكَانُ الْأَرْضِ الْقَائِمُونَ عَلَى ظَهُورِهَا مِنْ ذُوِّي الْعُقُولِ الَّذِينَ كُلُّفُوا حَمْلَ الْأَمَانَةِ ، هُؤُلَاءِ الثَّقَانُ ؛ الْإِنْسُ وَالْجَنُ سَنَفِرُغُ لَكُمْ ، أَيُّ سَنَقْصَدُ إِلَى سُؤَالِكُمْ ، وَمَحَاسِبِكُمْ ، وَفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَكُمْ ، فَخُذُوا حَذْرَكُمْ ، وَأَعْدُوا عِدَتَكُمْ .

هَذِهِ عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَشَدِ آيَاتِ التَّخْوِيفِ ، خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ سِيَاحَسْبَنَا عَنْ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ .

﴿إِيمَانٌ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَقَهُ الْعَمَلُ﴾

قَالَ تَعَالَى :

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيْكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾

[سورة النساء: ١٢٣]

الأَمَانِيُّ : جَمْعُ أَمَانِيَّاتٍ ، الْأَمَانِيَّاتُ : جَمْعُ أَمَانِيَّةٍ ، جَمْعُ الْجَمْعِ ، الْأَمَانِيُّ : شَيْءٌ يَتَوَهَّمُهُ الْإِنْسَانُ لَيْسَ لَهُ وَجُودٌ فِي الْوَاقِعِ ، لَذَلِكَ قَالُوا : الْأَمَانِيُّ بَضَائِعُ الْحَمْقِيِّ . اللَّهُ جَلَّ جَلَلَهُ يَقُولُ :

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيْكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾

[سورة النساء: ١٢٣]



لَذَلِكَ يُرُوِّيُّ عَنْ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : "وَمَا تَمَنَّيْتَ مَذْ أَسْلَمْتَ". إِيَّاكَ - أَيُّهَا الْأَخُ الْكَرِيمُ - أَنْ تَتَعَالَمُ مَعَ اللَّهِ بِالْأَمَانِيَّاتِ ، تَعَالَمُ مَعَهُ بِالسَّعْيِ الْحَثِيثِ ، بِالسَّعْيِ الْكَافِيِّ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانُ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾

[سورة الإسراء: ١٩]

﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾

لَمْ يَقُلْ : وَسَعَى لَهَا ، مَا كُلُّ مَجْمُوعٍ يَدْخُلُكَ كُلِّيَّةَ الطَّبِّ ، كُلِّيَّةَ الطَّبِّ لَهَا مَجْمُوعٌ خَاصٌ ، فَإِذَا أَحْرَزْتَهُ قُبْلَتِكَ فِي هَذِهِ الْكُلِّيَّةِ هَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾

لو أن الله جل جلاله قال : وسعي لها ، أي سعي مقبول ، لكن وسعي لها سعيها ، لابد من حدٍ أدنى ، من سعي مخلصٍ دؤوب شديد .

أيها الأخوة الكرام ؛ معنى الآية الكريمة :

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيْكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾

[سورة النساء: ١٢٣]



أي ليس الإيمان ، وليس ما وعد الله به المؤمنين لمجرد أمانكم ، ولكنه بالسعى الدؤوب ، والجد ، والاجتهاد ، وليس في الأرض كلها جهة ولا جامعة على الإطلاق تمنح الشهادات العليا بالتنمية ، ولا بطلب بسيط ، ولا برجاء حار ، لا تُمنح الشهادة إلا بامتحان صعب ، فمن تجاوزه نال الشهادة .

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا

﴿أَمَنَا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَيَعْلَمُنَّ اللَّهَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾

[سورة العنكبوت: ٣-٤]

الإمام الحسن رضي الله عنه يقول : "ليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب ، وصدقه العمل ، إن قوماً ألهتهم أمني المغفرة ، حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا : نحسن الظن بالله تعالى وكذبوا ، ولو أحسنوا الظن بالله تعالى لأحسنوا العمل ." .

قال عليه الصلاة والسلام :

(ليس الإيمان بالتمني ، ولا بالتحلي ، ولكن ما وقر في القلب ، وصدقه العمل))

[الجامع الصغير عن أنس بسنده فيه مقال كبير]

الهموم والمصائب تکفر السیئات وترفع الدرجات :

أيها الأخوة الكرام ؛ لا زلنا في آيات التخويف :

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيْكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾

[سورة النساء: ١٢٣]

روى الإمام مسلم والإمام أحمد وغيرهما عن أبي هريرة قال :

((لَمَّا نَزَّلَتْ : «مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ» ، شَفَقَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَبَلَغَتْ مِنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَبَلُّغَ فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَارِبُوا وَسَدِّدُوا فَكُلُّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةً حَتَّى النَّكَبَةِ يُنْكَبُهَا))

[أحمد عن أبي هريرة]

فِي الْمُصَبَّبَةِ الصَّغِيرَةِ وَالْكَبِيرَةِ يَكْفُرُ اللَّهُ السَّيِّئَاتِ .

روى ابن مardoieh ، وابن جرير ، قال أبو بكر رضي الله عنه :

((يا رسول الله ما أشد هذه الآية : «مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ» فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَطْمَئِنًا الصَّدِيقُ : يَا أَبَا بَكْرًا ، الْمَصَابُ وَالْأَمْرَاضُ وَالْأَحْزَانُ فِي الدُّنْيَا لِلْمُسْلِمِ جَزَاءً))

وروى الإمام الترمذى وغيره عن أبي بكر الصديق قال : ((كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ «مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا بَكْرًا أَقْرَئْنِكَ آيَةً أَنْزَلَتْ عَلَيَّ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَأَقْرَئْنِيهَا فَلَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنِّي قَدْ كُنْتُ وَجَدْتُ انْقِصَامًا فِي ظَهْرِي فَتَمَطَّلْتُ لَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا شَاءْتَ يَا أَبَا بَكْرًا ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأَمِّي وَإِيَّا لَمْ يَعْمَلْ سُوءًا وَإِنَّا لَمُجْزَوْنَ بِمَا عَمَلْنَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَا أَنْتَ يَا أَبَا بَكْرًا وَالْمُؤْمِنُونَ فَتُجْزَوْنَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تَلْقَوْا اللَّهَ وَلَيْسَ لَكُمْ ذُنُوبٌ وَأَمَّا الْأَخْرُونَ فَيُجْمَعُ ذَلِكَ لَهُمْ حَتَّى يُجْزَوْا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[الترمذى عن أبي بكر الصديق]



أَسْعَدَ النَّاسَ مِنْ وَصَلَ إِلَى الْقَبْرِ كَيْوَمْ وَلَدَتْهُ أُمَّهُ

وَرَدَ فِي الْأَثَرِ أَنَّ اللَّهَ سَبَحَنَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ :

((وَعَزَّتِي وَجَلَّتِي لَا أَقْبضُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ وَأَنَا أَحْبُهُ إِلَّا ابْتِلَيْتَهُ بِكُلِّ سَيِّئَةٍ كَانَ عَمِلَهَا سَقْمًا فِي جَسْدِهِ ، أَوْ إِقْتَارًا فِي رِزْقِهِ ، أَوْ مُصَبَّبَةً فِي مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ ، حَتَّى أَبْلُغَ مِنْهُ مِثْلَ الذَّرِّ ، فَإِذَا بَقِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ شَدَّدَتْ عَلَيْهِ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ حَتَّى يُلْقَانِي كَيْوَمْ وَلَدَتْهُ أُمَّهُ))

[ورد في الأثر]

إِذَا وَصَلَ الْإِنْسَانُ إِلَى الْقَبْرِ كَيْوَمْ وَلَدَتْهُ أُمَّهُ ، فَهُوَ مِنْ أَسْعَدِ السَّعَادَاءِ ، وَمِنْ أَشَدِ النَّاسِ فَلَاحًا ، وَتَفْوِقًا ، وَفُوزًا ، لَذِكَرِ - أَيْهَا الْأَخْوَةِ - الْهَمُومِ وَالْمَصَابِ تَكْفُرُ السَّيِّئَاتِ ، وَتَرْفُعُ الْدَّرَجَاتِ ، وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((ما من مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرْجَةٌ وَمُحِيتُ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً))

[مسلم عن عائشة]

المؤمنون ليسوا على شيء حتى يعملا بكتاب الله و سنة رسوله :

أيها الأخوة الكرام ؛ ومن أشد الآيات تخويفاً قوله تعالى :

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التُّورَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾

[سورة المائدة: ٦٨]



قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى :
هذه الآية وإن كانت موجهة لأهل الكتاب ، ولكن فيها نسمياً لهذه الأمة
الحمدية ، على قاعدة : إياك أعني
واسمعي يا جارة . لقد جرت طريقة
القرآن الكريم ألا يجا به الله هذه الأمة
الحمدية بتعنيف ، ولا توبیخ ، ولا
ذكر مساوئ ، ولكن يذكر مساوئ من
قبلهم ، ويعنف من قبلهم ، نسمياً لهم ،
وكأن الله تعالى يحذرهم من تلك المساوئ .

إذا أردنا أن نقيس هذه الآية على حياتنا ؛ يا أيها المؤمنون لستم على شيء حتى تقيموا القرآن
الكرييم ، حتى تقيموا أحكامه ، وتحلوا حلاله ، وتحرموا حرامه ، وتصدقوا وعده ، وتخافوا من
وعيده ، وتومنوا بما حكم .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ
يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾

[سورة الأحزاب: ٣٦]

أيها الأخوة الكرام ؛ لسنا على شيء عند الله تعالى ما لم نعمل بكتاب الله عملاً حقاً ، مستمسكين
به ، وعملاً بما أنزل النبي صلى الله عليه وسلم تبياناً وقصيراً لما أنزل الله عز وجل .

محاسبة كل إنسان على ما استقر في قلبه :

وقال بعض العلماء : إن أخواف آية في

القرآن الكريم هي قوله تعالى :

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ *

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

[سورة الززلة: ٨-٧]

مثقال ذرة ، كلمة ، نظرة ، ابتسامة ،

قالت عائشة عن أختها صفية : إنها

قصيرة ، قال عليه الصلاة والسلام :

((يا عائشة لقد قلت كلمة لو مُرجمت



سوف تحاسب على كل حركة وكلمة

(بمياه البحر لأفسدته))

[رواه أبو داود والترمذني عن عائشة رضي الله عنها]

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

[سورة الززلة: ٨-٧]

تحاسب على الكلمة ، وعلى النظرة ، وعلى الابتسامة الساخرة ، وعلى الحركة ، والإيماء ، بل

تحاسب على ما استقر في القلب إذا كان ما استقر في القلب فيه الإصرار ، وفيه التدرج إلى

العمل .

أخطر شيء في حياة الإنسان أن يقيم نفسه بمقاييس عاطفي :

أيها الأخوة الكرام ؛ ومن أشد الآيات تخويفاً قوله تعالى :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ أَمَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة البقرة: ٨]

أكبر مصيبة أن يتوهם الإنسان طوال حياته أنه مؤمن ، وأن مصيره الجنة ، ثم يُفاجأ بعد فوات

الأوان أنه ما كان مؤمناً ، وكان متلبساً بالمعاصي والآثام ، وكان منحرفاً عن الطريق المستقيم ،

وكان آكلاً للمال الحرام ، وكان مجانباً للحق ، قال الله تعالى :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ أَمَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة البقرة: ٨]

أيها الأخوة الكرام ؛ أخطر شيء عليك
أيها الإنسان أن تقيم نفسك بمقاييس
عاطفي، عليك بمقاييس القرآن الكريم ،
وبأحاديث النبي عليه أتم الصلاة
والتسليم ، اعرض نفسك على كلام الله .
قال الله تعالى :

لِيَكُنَ الْقُرْآنُ مَقِيَاسُكَ لِنَفْسِكَ وَعَمَلِكَ

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ

وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيهِمْ آيَاتُهُ زَادُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

[سورة الأنفال: ٢]

هل وجّل قلبك ؟ اذكر آيات المؤمنين التي تصفهم ، هل أنت واحد منهم ؟ اذكر آيات المنافقين ،
هل أنت متّبس بإحدى صفات المنافقين ؟

أيها الأخوة الكرام ؛ أخطر شيء في حياة الإنسان أن يستقل بتقييم نفسه عن المقاييس
الموضوعية، عندئذ يقع في شر علمه ، وتنطبق عليه الآية الكريمة :

﴿قُلْ هُلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

[سورة الكهف: ١٠٣-١٠٤]

طاعة الله عز وجل مخافة ناره :

أيها الأخوة الكرام ؛ وقال أبو جحيفة : أخوف آية في القرآن الكريم :
﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أَعِدْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾

[سورة آل عمران: ١٣١]

قال بعض علماء الحديث : عثرت على
حديث شريف جمع علم الأولين
والآخرين ، فيه التحذير ، وفيه
الرجاء ، وفيه التبشير ، وفيه التحذير :
اعمل للجنة بقدر مقامك فيها ، واعمل
الدنيا بقدر بقائك فيها ، واتق النار بقدر
صبرك عليها ، واتق الله بقدر حاجتك
إليه .



قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحَجَرُ

الله جل جلاله يحتاجه كل شيء في كل شيء ، أطع الله بقدر حاجتك إليه ، واتق النار بقدر صبرك عليها ، واعمل للدنيا بقدر بقائك فيها ، واعمل للأخرة بقدر مقامك فيها.

أيها الأخوة الكرام ؛ وعند بعض العلماء : إن أخوف آية في القرآن الكريم :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَانِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُمُنَ اللَّهُ مَا أَمْرَهُمْ وَيَقْتُلُونَ مَا يُؤْمِنُونَ﴾

[سورة التحرير: ٦]

وأشد الآيات تخويفاً قوله تعالى يخاطب الكفار :

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِدُكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾

[سورة النبأ: ٣٠]

وقوله أيضاً :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلُّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِلَنَاحَمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

[سورة النساء: ٥٦]

مقابلة النعم بالشكر :



يا أيها الأخوة الكرام ؛ ومن أشد الآيات تخويفاً بكتاب الله قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرُجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَارٍ شَكُورٍ﴾

[سورة إبراهيم: ٥]

قال علماء التفسير : ذكرهم بأيام الله التي مرت عليهم في الدنيا وتمر عليهم الآن ، وهي أيام نعماه ، وأيام بلائه ، أيام منحه ، وأيام محنـه ، أيام السراء ، وأيام الضراء ، ذكرهم وبلغـهم ، أن يقابلوا النعماه والسراء والرخاء بالشكـر ، وأن يقابلوا البلاء والضراء والشـدائـد بالصـبر ، ليعظم لهم الأجر ، لقوله تعالى :

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَارٍ شَكُورٍ﴾

[سورة إبراهيم: ٥]

أيها الأخوة الكرام ؛ ومن لم يقابل النعم بالشكـر فسوف يلقـى الحساب الشـديد ، ومن لم يتنـقـ الشـدائـد بالصـبر فسوف يلقـى ما هو أشدـ من البلاء .

أذكى إنسان من أعد الله جواباً عن كل حركة و سكنة :

أيها الأخوة الكرام ؛ ومن أشد الآيات الكريمة تخويفاً ، قوله تعالى :

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢٨١]

أعقل العقلاء ، وأذكى الأذكياء ، وأحكم الحكماء هو الذي يُعِدُّ عن كل تصرفٍ ، وعن كل حركة ، وعن كل سكنة ، وعن كل عطاء ، وعن كل أخذ ، وعن كل ابتسامة ، وعن كل عبوس ، وعن كل غضب ، وعن كل رضا ، جواباً للواحد الديان ، أعد الجواب الله عز وجل ، ولا تعباً برضاء الخلق .

فليت _____ تحلو والحياة مريحة ولتيك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيبي وبيبي عامر وبيبي وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

ومن أرضي الله بسخط الناس رضي
الله عنه ، وأرضي عنه الناس ،
والقصة التي أرويها لكم كثيراً هي أن
يزيد بن معاوية أرسل إلى والي
البصرة توجيهها ، وكان عنده الحسن
البصري من التابعين الأجلاء ، إن نفذ
التوجيه أغضب الله ، وإن لم ينفذ
أغضب يزيد ، وقع في حيرة ، قال :
ماذا أفعل يا إمام ؟ فما كان جواب



أعد الجواب لله ولا تعباً برضاء الخلق

الحسن البصري إلا أنه قال: إن الله يمنعك من يزيد ولكن يزيد لا يمنعك من الله.

﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَنَّا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ وَالٍ﴾

[سورة الرعد: ١١]

عن ابن عباس قال :

(كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ : يَا غَلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظُكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجَدُهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنُ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضْرُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضْرُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصَّحْفُ))

[الترمذى عن ابن عباس]

تنكير بآيات التوحيد :

يا أيها الأخوة الكرام ، أذكركم بشكل سريع بآيات التوحيد :

﴿يَقْتَحِمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنِ الْحَكِيمِ﴾

[سورة فاطر: ٢]

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُرُ كُلُّهُ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكُّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[سورة هود: ١٢٣]

﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾

[سورة السجدة: ٤]

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾

[سورة الأنفال: ١٧]

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

[سورة الفتح: ١٠]

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾

[سورة الزخرف: ٨٤]

﴿الَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَيلٌ﴾

[سورة الزمر: ٦٢]

﴿إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأُمُرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة الأعراف: ٥٤]

﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

[سورة الرعد: ٤١]

هذه آيات التوحيد .

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعْدَبِينَ﴾

[سورة الشعراء: ٢١٣]

﴿سَنُنَقِّي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا وَاهِمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾

[سورة آل عمران: ١٥١]

العاقل من يعرف الحقيقة قبل اتهام أي إنسان :

أيها الأخوة الكرام :

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢٨١]

يروي العلماء أن هذه الآية آخر آية نزلت في كتاب الله .

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢٨١]

عدّ للمليون قبل أن تأخذ ما ليس لك ،
قبل أن تتم بريئاً ، قبل أن تجانب
الحقيقة .

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ
تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢٨١]

قال معاذ :



عد للمليون قبل أن تتم بريئنا

((يا رسول الله وإنما لمؤاخذون بما نتكلّم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ و هل يكتب الناس على
وجوههم في النار ، أو قال : على مناخيرهم إلى حصاد السنّتهم))

[أخرجه الترمذى وصححه ابن ماجه والحاكم عن معاذ]

و عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ
الجنة لَا يَأْمُنُ جارُهُ بِوَاقِفَهُ)

[أحمد عن أنس بن مالك]

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ
لِيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخْطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَهُوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[امقق عليه عن أبي هريرة]

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، حاسبو أنفسكم في الدنيا حساباً شديداً ،
ليكون حسابكم يوم القيمة سعيداً ، حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن
عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، الكيس من دان نفسه
و عمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هوها ، وتنمى على الله الأماني ..

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولـي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدـه ورسولـه ، صاحـبـ الخلقـ العـظـيمـ ، اللـهمـ صـلـ وـسلـ وـبارـكـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ اللـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـينـ .

التقرب إلى الله ثمرة الإيمان :

أيها الأخوة الكرام ؛ عود على بدء ،
ذكرت لكم في مطلع الخطبة أن معرفة
الله ليست مجده ما لم يرافقها تقرباً إليه
، قال تعالى :

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا
إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ
رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف: ١١٠]



هذه الحقيقة وهذه العقيدة :

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[سورة الكهف: ١١٠]



التقرب إلى الله هو ثمرة الإيمان ، وهذا
التقرب لا يكون إلا بجناحي الخوف
والرجاء ، وفي الخطبين الحالية
والسابقة تحدثنا عن الخوف ، لابد من
أن تسمعوا آيات الرجاء، وأحاديث
الرجاء من أجل التوازن ، من أجل أن
تطيروا إلى الله بجناحي الخوف
والرجاء ، فالذي حضر الخطبين
ينبغي أن يحضر الخطبين التاليتين من
أجل أن يقع التوازن بين الخوف والرجاء .

التوازن البيئي :

أيها الأخوة الكرام ؛ قرأت مقالةً لفت نظري ، أن بعض المزارعين شكوا كثرة الصقور في
بلادهم ، لأنها أحياناً تقضي على أفراد الدجاج فتكلها ، شكوا ذلك إلى المسؤولين - طبعاً ليس في
هذا القطر ، في أماكن بعيدة ، في أمريكا - شكوا هذا إلى المسؤولين فوضعت الدولة جائزة سخية

لمن يقتل الصقر ، خلال شهرين متتابعين تمّ القضاء كلياً على صقور هذه البلاد ، ثم فوجئ المزارعون أن فئران الحقل تكاثرت تكاثراً غير معقول ، وهذه الفئران قد أكلت أكثر المحاصيل التي هم في أشد الحاجة إليها ، ثم عرفوا أن هناك توازناً في البيئة بين كل الحيوانات ، وبين كل النباتات ، والآن هناك اتجاه جديد إلى استخدام المبيدات الحيوية ، وليس الكيماوية ؛ لأن المبيدات الحيوية متوافقة مع الأمراض النباتية ، أما إذا استخدمنا المبيدات الكيماوية فربما اخْلَى توازن البيئة ، ووقعنا في أمراض نحن في أشد الحاجة إلى تجنبها.

أيها الأخوة الكرام ؛ تغيير خلق الله من صفات أهل الدنيا ، ومن صفات الكفار ، هناك حكمة بالغة ، هناك توازن دقيق بين الكائنات ، بين الحيوانات ، بين النباتات ، بين الحيوان والنبات ، بين النبات والإنسان، فأي خلل أصاب البيئة ندفع ثمنه باهظاً .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيما هديت ، وعافنا فيما عافت ، وتولنا فيما توليت وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من وليت ، ولا يعز من عاديت تبارك ربنا وتعاليت ، لك الحمد على ما قضيت ، نستغرك ونتوب إليك اللهم هب لنا علاً صالحًا يقربنا إليك. اللهم أطعنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اقسم لنا من خشيتك ، ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعبنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحبيتها ، واجعله الوراثتنا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا وأصلاح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زادنا من كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك. اللهم لا تؤمننا مكرك ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين. اللهم استر عوراتنا ، وآمن رواعتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخيماً ، وسائر بلاد المسلمين. اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عصال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء. اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله علينا فيما نحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما نحب. اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبذلها بالإقتار ، فسأل شر خلقك ونبتلى بحمد من أعطى وذم من منع ، وأنت من فوقهمولي العطاء وبيك وحدك خزائن الأرض والسماء.

اللهم كما أفررت أعين أهل الدنيا ببنياهم فأفرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين، اللهم ارزقنا التأدب ونحن في بيتك يا رب العالمين. اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيده ولا تهم إلى ما تحب وترضى إنه على ما تشاء قادر وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين